فكرة واحدة نبيلة لم تمر مرورا عابرا بقلبك ، فانت لاشيء الا عبد لمعدتك ولأعضائك الأدنى ... والآن تستطيع أن تستريح تماما ، فلقد طلقت صنعة الشعر ، ومن الآن فصاعدا سوف تكون أعظم قصيدة وأسماها في حياتي هي تحطيمك وتحطيم أمثالك » .

ورواية « حاجي آقا » ليست رواية بسيطة العقدة ، لكنها تعليق مطول الى حد كبير وكشف حاد لانهيار خلقي وجرائم اجتماعية . ولكي نصل الى هدف القصة كان من المهم أن نستشهد بنصوص مطولة ، ذلك لأنه ليست هناك في الحقيقة أية أحداث أو أية عقدة في الرواية يمكن اعتبارها عقدة رئيسية ، وبالرغم من الطبيعة الهجومية للرواية ، ليس هناك عمل آخر من أعمال هدايت يحتوى على مافيه من فكاهة . ويحتوى على فقرات تجعل أقل القراء تعاطفا يستغرق في الضحك ، ومن سمات هذه الرواية ـ برغم انها رواية شخصية واحدة ـ أنها تقدم لنا ثلاثين شخصية متباينة دون أن تركنا نلتقي بها مباشرة ، وقد مارس هدايت في رسمها عبقريته في اشتقاق الأسماء ، نلتقي بأناس من قبيل « فلاخن الدولة : منجنيق الدولة » و « سرهنك بلند برواز : القائد الذي يطير عاليا » و « بنده دركاه : عبد العتبة » و « منتخب دربار : منتخب البلاط » و « حيزقيل مشعل : اسم يهودي لكي يدلل على الربا الفاحش » وآخرين كثيرين لايظهرون في الرواية لكن أسماءهم تصور شخصياتهم بلا شك وتقدمها لنا .

وتعد « حاجي آقا » أكثر روايات هدايت شهرة خاصة بين جمهور القراء ، وفي نفس الوقت استقبلتها الجهات المسئولة بعدم رضا ، وكذلك استقبلها الأساتذة البارزون ، وفي رأى الأخيرين انها ليست عملا فنيا ، وأن شخصية الحاج شخصية كاريكاتيرية وفيها قدر من المبالغة ، لكن هذا التحامل لايحتوى في الحقيقة على